

## و.. التفاتٍ على بعض "دُرره" (١)

مدخل:

"... الشعر/ فن المتنبي الخاص" (٢) .. به ارتقى سلّم التاريخ، (٣) وعن طريقه أظهر مواهبه، وكان مُعجِباً به ومعتداً بأهميته، شغله عن بقية الفنون، واستهلك أكثر نشاطه العقلي والجمالي، ولم يعتبر نفسه حين استغرق فيه مُستهلكاً... في أمر تافه قليل الاعتبار، بل اندفع إليه بحماسةٍ قليلة النظر، وأدرك ماله من أثرٍ على حياة الناس وتفكيرهم، فكان يُشَبّه شعره بالشمس المضيئة للكون.. كما سُمّي قصائده بالشُرْد الخالدات" (٤).

ولعلي.. أطلع القارئ على ما يحسن له الإشارة.. من بعض ذلك

(١) بين درر المتنبي التي علقت في الذاكرة حين الاطلاع المتكرر على ديوانه.. تفتقت عن هذه "القراءة".

(٢) .. قال في مستهل لقائه بـ "سيف الدولة":

- فجتك لا ألوي على أحدٍ - أختٍ راحلتي: الفقير، والأدب!

(٣) .. بل هو الذي عرفنا بشخصه، و.. عطف بذائقتنا.. إليه، وصدق ابن الوردي:

قيمة الإنسان ما أحسنه أكثر الإنسان منها.. أو أقل!

(٤) كتاب "المحصول الفكري للمتنبي" لـ/ سهيل عثمان، ومنير كنعان، ص ٣٢٢.

وإن كان المتنبي سُمي شعره بالشُرْد الخالدات، فقد سبقه (كعب) بوصف شعر والده زهير بـ..

"بقين بقا الرحي في الحجر الأصم". - مع عدم البناء على المثل/ كل فتاة بأبيها معجبة -

لأنه شاعر\* رضي الله عنه من الفحول.. ولا يُثني إلا على من يستحق الثناء.

- (\* قال ابن سلام - مبالغاً: لا يضبط الشعر إلا أهله -

الأثير<sup>(١)</sup> .. وقعه ..

١/ بأبي من وددته فافترقنا وقضى الله بعد ذاك اجتماعا  
.. وافترقنا حولاً، فلما التقينا كان تسليمه عليّ وداعاً

أودُّ أحداث "ذاتك": - كما قيل - إن هذين البيتين أوّل ما نظمت!  
هل داعيهما: أوّل "حب" خلّب جنانك<sup>(٢)</sup>، فأجلى به عن موهبتك -  
الشعرية - بعض غشاوة.. أو قليل "حياء" كان يسترها؟  
.. ربما أستنتج "جوابك" من سيرتك.. أو بداياتك الشعرية.. كا:

أيا خدّد الله ورد الخدود

و..:

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها في ليلة، فأرت ليالي أربعا  
واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرتني القمرين، في وقت معا  
ثم.. أحورّ عن هذا.. إلى:

أأحبت.. فنظمت!

أم أعجبت.. بمن لاقيت!؟

---

<sup>(١)</sup> قال د. عبد العزيز الدسوقي: إن في شعر المتنبي شحنات حارة متأججة، وفيها إشعاع  
فني يحرك الوجدان، ويشير العقل من أين يجيء هذا الإشعاع الفني؟ إنه ينبعث في  
الأساس من سحر الشخصية وحاذيبتها وبهذا الإشعاع الفني يمكن أن نصف كثيراً من  
مشاهد قصائده، ونذكر أسرارها الفنية.

<sup>(٢)</sup> .. كما أوضحت بعد:

ولكن حباً خامر القلب في (الصبسا) يزيد على مسرّ الزمان ويشتدُّ

أم هدف - لم بين لنا - وددت إيصاله.. فنسجت ذينك البيتين!  
مهما يكن "الجواب" فهو - وهذان البيتان - إمارّة لأوليّات "موهبتك"  
في الشعر.. لتكن:

أبا الطيب.. (الشاعر).. المتنبّي.. الذي: "ملاً الدنيا وشغل أهلها!".  
٢ / يكاد أبو الطيب "الخبير بالحياة" يقرأ زماننا - الذي مائل زمانه -  
فيلقي علينا من قوارعه أو (حكّمه).. مثل:

إنّا لفي زمن ترك القبيح به من أكثر الناس إحسان وإجمال  
الله.. يا أبا الطيب، من أكثر!، ألا تفاءلت وقلت من بعض الناس..، أو  
على الأقل من شطر الناس..،

لا أيها المجيد - في النظم - أظن أنه خانك التشاؤم بهذه المرّة،<sup>(١)</sup> فترك  
القبيح من سمات المسلم وهو الذي - أظنك - لم تعنه بهذا الإنشاء!<sup>(٢)</sup>  
ولا أظن أنك ستجيبني:

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم  
لأنني كما أسلفت أرى ترك القبيح من سمات المسلم السامي. يمثل هذه

---

(١) .. كما خانك من قبل.. - مثلاً:

ومن عرف الأيام معرفتي بها وبالناس، روى رحمه غير راحم  
- وهذه.. مخالفة شرعاً.. ولكن سأل الله -

(٢) وروى البخاري رضي الله عنه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم كان يقول: "إن خياركم أحسنكم أخلاقاً".

"الخصال"<sup>(١)</sup>.

.. إذا لم أعب قولاً صحيحاً، بل قلت من صدق ما لا يحتمل شطر الصحة - إلا ما شاء الله -.

ثم هذه المشأمة، رجوت أن لا أراها حكمة تُنطق بين دفتي ديوانك،..  
إذ المرء مُعلّق - بعد الرجاء بالله والتوكل عليه - بجبال الآمال والأمانى  
التي تُضيء ولو بصيصاً من النور في طريق الحياة - الطويل -..

٣/ نحنُ من ضايق الزمان له في - ك وخاتمه قُربك الأيام  
لا أعتقد أيها "العبقري" وأنت تُفخم ذاتك ب - نحن - ثم نقلب إلى  
ممدوحك ب ضايق الزمان فيه.. وخانت الأيام بقربه، أنك سوف تسلب  
من تقويمنا لك أو لممدوحك!

فهذا الذي ضايق الزمان فيه/ أمضيت في رحابه "تسع سنين"<sup>(٢)</sup> أي ما  
يقارب "عقداً" من عمرك، وكان هذا العقد - مرحلة الأربعينات من  
العهد المظفر منك بالدرر-<sup>(٣)</sup>

---

<sup>(١)</sup> قال العابد عبد الله بن المبارك - رحمه الله -:

وإن امرؤ لا يرتجى الناس عفوهُ ولا يأمَنوا منه الأذى للئيم  
- .. ويرى ماركوس أوريليوس: أن أقوى ضروب الانتقام هو: ألا تكون صورة من عدوك.  
<sup>(٢)</sup> لدى سيف الدولة.

<sup>(٣)</sup> .. حتى قيل (أن ما نظمته خلالها في مدح سيف الدولة يبلغ ثلث شعره).

- جواهر المتنبي ص ١٦ / عبد الله خياط -

ولا أريد أن أسهب وأقول: أنه كان بالإمكان أن تتم عيشك وأنت في رحابه<sup>(١)</sup>.. لولا الحساد، أو لنقل (المنافسون)<sup>(٢)</sup> - لا مضايقة الزمان.. أو الأيام كما قلت -.

الذين ما انفكوا للتفريق بينكما.. وليس الزمان<sup>(٣)</sup> أو خيانة الأيام.. كما حاولت إيهامنا بأنهن السبب.. بهذه المضايقة - أو الخيانة - وصداه داخلك.. - فقط - أن/

وقت يضيع، وعمر لیت مُدته في غير أتمته.. من سالف الأمم إذاً!..،

٤ / وما أنا ممن يدعي الشوق قلبه ويحتج في ترك الزيارة بالشغل لا أكذب.. إني حين أقرأ لك.. مثل ذلك أن أردد - في صداي - أنك استطلعت إحساسني الداخلي، وداخلت وجداني كحالك في هذا (البيت) ..لأنني أحتج مثلك.. - ليس دائماً - بترك الزيارة بالشغل<sup>(٤)</sup>!

(١) ..ألم تقل - في ضيافته -:

قيدت نفسي في ذراك محبة ومن وجد الإحسان قيلاً تقيدا - وقد قيل (في معنى عجز البيت): الإنسان أسير الإحسان -  
(٢) ..أو خيل إليك - من الغرور - ..أنهم حسادا - انظر ما تقدم ص ١١٩ -  
..يُعلمه قولك:

بلى قضت الأيام بين بعضها مصائب قوم، عند قوم فوائد  
(٣) والذي - على حد تعبير أحد أقرانك (أبو تمام) - ب/ هو الزمان لا يُصفي إلى من يعاتبه!!  
(٤) .. ربما لظاهر "العلة" هذه - المنطبقة على البعض - :

جزاء كل قريب منكم.. ملل وحظ كل مُحِب منكم.. ضمن

و.. ما يدريك -أيها القارئ للذات- أنني (أحتجّ في ترك الزيارة بالشغل)  
علم الله أنك لو خالطتني.. لقلت أن هذا الخليط فاضحي أو مفشي ما  
كتمت بسري-<sup>(١)</sup>

٥ / وما .. قتل الأحرار كالغفو عنهم

أشهد أنك أصبت كبد الحقيقة،..

فهل يقتل "الحر" غير الغفو عنه، كفاك أيها - الخبير - مسأً لمواقع في  
القلوب..، تفيض حين تقرأ مثل هذا الزخم.. أن لا تكمل فتقتل  
الإحساس، يا أيها "الحساس" بما تتناوله من قول على واقع ذوي النفوس  
الكبيرة بمعناها<sup>(٢)</sup> - لا بمناها -.

<sup>(١)</sup> بل كطبيب (علم النفس) يقرؤها من الخارج.

قال الأستاذ شرارة - ت ١٩٨٨ م - عن هذه الخاصة:

(.. هذه البراعة في وصف الانطباعات الخاصة التي جعلت أبا الطيب يفوق معظم الشعراء  
في تاريخ العالم على وجه التقريب لا في دنيا العرب وحدها.. مهما عيب عليه من  
هفوات، أو عُذّ له من سقطات).

- .. ومع ما تقدم (ص ٩٧ هامش ٢) نردد قول ابن سلام (ما أرادت أن تطعن في شعر

شاعر إلا وجدت) وانظر هامش (٢) ص ٤٧ -

<sup>(٢)</sup> قال عنهم - أو فيهم - سليمان العيسى:

الصادقون يتامى في مدينتنا	في جيلنا يمضون اليأس والألما
الصادقون وهم في اليأس قافلتني	وإن حصدت السراب المر والسأما
بني على شرفات الغيب أغنية	تبقى وتذهب في جفن المدى حلما

٦/ خُلقتُ ألوفاً لو رجعت إلى الصبا لفارقت شبيبي موجع القلب باكياً  
 إذاً ماذا نقول - جواباً - لأبي العتاهية حين يلذعنا.. ب:  
 ألا ليت الشباب يعود يوماً لأخبره بما فعل المشيب<sup>(١)</sup>  
 فهل صدّق (هو). بما يَألم من شيبته، ووهن جسده، وضعف قواه..!، أم:  
 أنت الصادق - أيها الأليف بيومك وساعتك على ماهي عليه-.  
 إن كان "أبو العتاهية" صدّق قوله.. كل من شاب فعيب عليه سنّه  
 ليخضب شعره،<sup>(٢)</sup> فقد صدّقك مجرى حياتك.<sup>(٣)</sup>

<sup>(١)</sup> وأقلّ ما فعله "المشيب" .. ما قاله أبو تمام:

يا نسيب الثغام\*.. ذنبك أبقى حسناتي عند الغواني عيوباً  
 \* نسيب الثغام: الشعر الأبيض.  
 وسبقه عمر بن أبي ربيعة - تحقيماً -:

رأين (الغواني) الشيب لاح بعارضي فأعرضن عني بالحدود النواظر  
<sup>(٢)</sup> قال (ابن الرومي) - بتفنن المعتذر عن الخضاب -:

لم أخضّب الشيب للغواني لأبتغي عندهم واداً  
 لكن خضابي على شبابي لبست من بعده حدادا  
 ثم انسحاه.. مع مراد ذاته التي دعت للخضاب وقالت: (.. إن دفن المعيب .. غير معيب).

بل.. وهذا من أمر رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم.. بقوله:

(غيروا هذا الشيب وجنبوه السواد) - الحديث -

<sup>(٣)</sup> برغم زعمك - بإحدى المراتي -

وإذا الشيب قال أف فما ملّ الحياة.. ولكن الشيب ملا  
 ..آلة العيش صحة وشباب فإذا وأبى عن المرء... ولا  
 -....

إذ فارقت حلب الشهباء بعد سنين - لا أظن أنك عشت أجمل منها<sup>(١)</sup> -  
.. ومع هذا لم تشتق.. ولم تندم.. ولم تزر سراً.. ولا حاكتك نفسك  
لذلك<sup>(٢)</sup>...

والبيت الثاني.. بُني من قوله صلى الله عليه وسلم: "نعمتان مغبون بهما كثير من الناس:  
الصحة والفراغ" - الحديث -

أو الاعتراف الواضح.. في رثاء أم سيف الدولة -:  
ومن لم يعشق الدنيا قديماً  
وفي المثل الأمريكي - ما يعزّز ذلك -:  
"مهما ثقل العبء الذي يحمله المرء، تظل الحياة دائماً حلوة".

<sup>(١)</sup> قال الباحث (محمد قجة) - رئيس جمعية العاديات الأثرية بحلب -:  
(.. ويعد مكوث المتنبّي في حلب من أعظم فترات حياته وأكثرها ازدهاراً، وقد كتب فيها  
أجمل قصائده على الإطلاق وأصدقها).

ثم.. أضاف: (عرفت حياة الشاعر العربي الكبير أبي الطيب المتنبّي ثلاث مراحل في ثلاث  
مدن هي الكوفة، حلب والقاهرة، إلا أن مرحلته الحلبية تعتبر أهم مرحلة في حياته  
على الصعيدين الشعري والشخصي وهي زهاء تسع سنوات - وقد دخلها بعد وفاة  
زوجته وهو في الرابع والثلاثين من عمره -..)

<sup>(٢)</sup> .. ودليلي على ذلك.. - أو الأوضح - قول "لاوتزو":

إذا شئت معرفة ما يشغل بال المرء يكفيك أن تُصغي إلى حديثه!

.. فهل أستني لك - من هذا - قولك في رثائك (خوله).. لأميرك:

يظن فؤادي غير ملتهب      وأن دمع عيونني غير منسكب  
.. بلى، وحرمة من كانت مراعاة      لحرمة المجد والقصاد والأديب

وفارقت - من قبل - الكوفة والصبا... وجمال (عهده) الذي بها،  
وجلال موقعه في الفؤاد، ولم يتألم سوى قول "للمشاعر لديك" عنها:

لك يا منازل في القلوب منازلٌ

- فقط...! - .. ثم نواح الذكرى:

ذكرى الصبا ومراتع الآرام جلبت همامي قبل وقت همامي

نعم هكذا خلقت ألوفاً...، لكن الحقيقة تُكذب حتى واقع المرء:

أحنُّ إلى أهلي وأهوى لقاءهم .. وأين من المشتاق عنقاء مُغرَّب<sup>(١)</sup>

والحقيقة - هذه - من (الفِطْرَة)، وليس بيدك أيها المُبدع تغيير سَلْمها

- رغم تكابرك عليها... -

مغان الصبا تهوي عليها المعاولُ أضاق الفضاء!...، حتى تُراع الأوائل<sup>(٢)</sup>

مغان.. هي التاريخ والعمر.. والهوى أي غمضة تفضي عليها المعاولُ

!!.....

٧ / غني عن الأوطان لا يستخفني إلى بلد سافرت عنه إيساب

وكان من الأولى أن تقول ( لا يُحنني) .. وليس لا يستخفني.؟!!

إذ أن الحنين<sup>(٣)</sup> هو الذي يُعيد<sup>(٤)</sup> .. لا الاستخفاف.

(١) في عجز البيت: أخذاً من المثل العربي: (حلقت به عنقاء\*) مُغرَّب) .. إذا ما أخبروا

عن هلاك شيء وبطلانه.

- (\*) قال الجاحظ العنقاء: طائر خرافي يُسمع به ولا يرى -

(٢) عبد العزيز المسلم.

(٣) قال صاحب ليلي "الجنون":

قال - المولع - (ابن زريق البغدادي)..

بأنه يا منزل الكرخ الذي درست  
هل الزمان معيداً فيك لذتنا  
.. لا أكذب الله ثوب العذر منخرقاً  
عني بفرقتي.. لكنني أرقعه  
أثاره.. وعفت مُذ بنت أربعه  
أم الليالي التي أمضته.. تُرجعه  
إلخ..

٨ / يموت راعي الضأن في جهله ميتة "جالينوس" في طبه  
إذا: هو "الموت" الذي /.. - ما عنه ملاذٌ ومهرب!..<sup>(١)</sup>  
ولا يفرق مذاقه بين من كلّ العمر، وأمضى السنين... وبدد زهرة أيامه في العلم  
والطلب والتحصيل،<sup>(٢)</sup> وبين من لا يُميّز بين الألف والقائم المستقيم<sup>(٣)</sup>..

-...-

وأعظم ما يكون الشوق يوماً  
إذا نأت الديار عن الديار  
<sup>(٤)</sup> قال أبو العلاء المعري:

فيها برق.. ليس "الكرخ" داري، وإنما  
فهل فيك من ماء "المعرة" قطرة  
<sup>(١)</sup> كما يقول (محمد بن عثيمين).  
<sup>(٢)</sup> و.. كما قلت..

أفاضل الناس أغراض لدى الزمن  
يخلو من هم.. أخلاهم من الفطن !!  
<sup>(٣)</sup> ربما لأنه.. كما يعتذر له حمد الحجي:

نظر إلى الكون نظرة عابرة  
يمرّ على الأشياء دون عناء  
قال "سعد البواردي":

يجيا العالم ثم يرحل، وبقدر ما ورث في حياته من علم يُشكر ويجيا المفكر ثم يرحل،  
-...-

إلا أن - الموت الذي يجتمع به الجاهل والعالم - مرحلة التقاء فقط... ثم بعد الموت يفترقان كما كانا... قال تعالى - مذكراً أو مُمايزاً -:

﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾<sup>(١)</sup>!

فالعالم بعد موته "شهادة التاريخ" له ولعلمه<sup>(٢)</sup>، وما خلف كافية لإنصافه.. من ذلك الجاهل الذي عاش ومات ولم يدر به سوى أقرب ذويه، أو بعض مُحبيّه..!

وقد مات أقوامٌ لا عداد لهم كأنهم من هوان الخطب ما وُجدوا<sup>(٣)</sup>

-...-

وبقدر ما أعطى لغيره من زادٍ يُذكر.. لا شيء يبقى مع رحلة القبر إلا مرحلة العلم والفكر.. والذكر/ حتى جاء صالحاً ومُصلحاً.

<sup>(١)</sup> سورة الزمر، آية ٩.

<sup>(٢)</sup> هذا في الدنيا إن كان من أهلها فقط، - فله ما رمى منها، من جوائز وتمجيد.. وخلود!

..أما هناك في يوم لا ينفع فيه مالٌ.. ولا بنون - ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾ سورة الفرقان، آية ٢٣.

أما إن كان مؤمناً -وعابداً\* - .. بانياً علمه على ما جاء عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فله.. من وعده سبحانه.. ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن﴾. سورة طه، الآية ١١٢.

- (\* إذ لا يكفي العلم.. ولا حتى العمل بلا إيمان! وقد مثل له سبحانه وتعالى:

﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده

شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾ سورة النور، آية ٣٩-

<sup>(٣)</sup> أحمد شوقي...، والقاتل مُستثيراً الهمم..

-...-

هنا "الإنصاف" .. وليس الموت الذي يُعدّ - فقط - نقطة إلتقاء ثانية بعد الولادة بين العالم .. والجاهل.

٩ / والهمُّ يخترمُ الجسيمَ نحافةً      ويُشيبُ ناصيةَ الصبيِّ ويهرمُ  
أوآ.. ما دون ذلك مُلغى يا شاعرنا..!؟

كيف لك أنت و(الهمّ) هذا من الغم الذي يُطبق على القلب فلا يُريه إلا ما يكابده الإنسان .. فإنه - أي الهم - يُعلّ من حملة، ويُعيي<sup>(١)</sup> من نقله، ويُحلّ البياض في المقلة..<sup>(٢)</sup>

أوآ.. تظن يا أبا الطيب أنك وحدك المهموم..؟ لا و(الذي خلقك من تراب ثم سواك رجلا..) فإن من جرّب الحياة وخبرها.. / أمسى والهموم تُبيّض شعره، وتظلم نوره، وتكدّر صفوه<sup>(٣)</sup>، قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾<sup>(٤)</sup>.

---

...-  
إذا ما فتّ.. ونفق الحمار      أبيضك فرق... والحماز !!  
(١) يتعب.

(٢) قال تعالى في يعقوب على فراق يوسف عليهم السلام: ﴿وابيضّت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾ سورة يوسف، آية ٨٤.  
(٣) قال (ابن الرومي):

هم الناس والدنيا، ولا بد من قذى      يلم بعين أو يكدّر مشربا  
ومن قلة الإنصاف أنك تبغى المهـ      لذّب في الدنيا، ولست المهديا  
(٤) سورة البلد، آية ٤.

...-

وهمٌ يختلف عن (همّ)..

فمن همّة كبير كبرت ذاته وتوسّعت مداركه، حتى يظن أن العمر - مع تطاوله - قد لا يفي لتحقيق المنى، كيف لا..؟!، قال أحد الصالحين - ذوي "النفوس الكبيرة" و"الهمم العالية"..:- (إن الأعمال أكثر من الأوقات)<sup>(١)</sup>.

فكيف تكثر هذه الأعمال..!، وقد شكى الناس اليوم من الفراغ.. وقلة الأعمال!<sup>(٢)</sup>

إنما كثرة الأعمال لديه لعظم الهمّة، وجسامة الأمانة - العمل الذي زوى له وعليه نفسه -، بل وآل عليها ذلك (فرضاً):

---

...  
وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَأْتَهُ﴾ سورة الإنشقاق، آية ٦.  
والكدح: أشد أنواع الشقاء.

(١) يُذكر أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كان إذا دخل "الخلاء" قال لإحدى تلاميذه:  
اقرأ وارفع صوتك - استثماراً للوقت.. حتى هناك! -  
قال الحسن البصري رحمه الله - من قبل :-

أدركت أقواماً كان أحدهم أشحُّ على عُمره منه على درهمه!  
وكان علامة الشام (جمال الدين القاسمي) رحمه الله يقول - مخاطباً من يقعدون على المقاهي.. تسلياً -: آه يا ليت الأوقات تشتري، فأشتري أوقاتكم منكم.  
(٢) قال اليونان (أغلى النفقات إضاعة الوقت).

قال ابن هبيرة:

والوقت أنفس ما عنت بحفظه وأراه أهون ما عليك يضيعُ

وإذا كانت النفوس كباراً      تعبت في مرادها الأجسام  
هنا ينطبق على مثله انحلال الجسم وشبيهه.. في عهد الصبا.  
١٠ / كد عواك: كلُّ يدعي صحة العقل      (ومن ذا الذي يدري بما فيه من جهل<sup>(١)</sup>)!  
- فعلاً.. كما قال مجنون ليلى: - وإن كان يقصدُ عاذله والحُسْدِ،..  
كما قال مجنون ليلى .. / وذو الجهل يا (ليلى) يجهل -

هذه والله البلوى: من ذا الذي يدري لما فيه من جهل! <sup>(٢)</sup>

إذ أن هذا (الجهل) هو المضني: الجهل المركّب..

عزيزي أيها الحكيم: إن (الجهل المركّب) الذي عبّر عن صاحبه بـ:  
"صحة العقل" أفرز من مثله بزماننا كثيراً، بل من هذا الكُثر لم يدع

---

<sup>(١)</sup> .. ليذكرنا - هذا العجز. بقول الشافعي - أو "الخليل بن أحمد" - رحمهم الله: الرجال  
أربعة.. ومنهم: رجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري..، فذاك غافل فنّبّهه...  
.. حتى إن شاعرنا أغرب.. في التعريف.. عنه:

مَنْ جاهل بي.. وهو يجهل جهلَهُ      ويجهلُ علمي أنه بي "جاهل"  
رعا هذا.. من معنى نظم الخليل بن أحمد في قوله - من باب العتب -:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني      أو كنت تعلم ما تقول عذلتك  
لكن جهلت مقالي فعذتني      وعلمت أنك جاهل فعذرتك

<sup>(٢)</sup> قال صلى الله عليه وسلم: "رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه".

وأجاب حكيم - حين سُئل: ما أفضل العقل - بـ / معرفة المرء بنفسه.

- وسئل سقراط: كيف تبوأ مكانتك؟ فأجاب:

"رعا لأنني الشخص الوحيد الذي يعرف أنه لا يعرف!".

صحةُ العقل.. - فقط -، بل قلب علينا ظهرَ المِجن وأوسمنا بالتخلف، وهذا لم؟ لأننا لم نتبع طريقته، وفتح على العالم ونأخذ منه - أي هذا العالم - سيئةً وحسنة، كما كان يعلمه - أي/ صاحب الجهل المركب - أستاذه<sup>(١)</sup> عميد الأدب<sup>(٢)</sup>!.

فهل استمع إلى تلميح أبي نواس:

فقل لمن يدعي في العلم فلسفة .. حفظت شيئاً، وغابت عنك أشياء  
لذا اسمح لي أن أقول لك: إننا أولى بالتمثل بهذا البيت "الخالد" .. والذي  
خلده حقيقته الظاهرة - بالأخص - بهذا العصر!!

١١/ ولم تزل قلة الإ نصاف قاطعةً بين الرجال ولو كانوا ذوي رحم  
أتقوها صادقاً...؟!.

والذي فلق الحب والنوى، وأخرج المرعى، أن ليس من سبب يُنفر  
القلوب - أو يشتها - .. ويشزرها عن بعضها كمثل "قلة الإنصاف"،

---

(١) .. فلا نستعجب - أو نستكثر - .. حين ونحز أحد المستشرقين - ما ولّفت جُعبت  
هذا "...."/ أن لم يزد على القول (هذه بضاعتنا رُدّت إلينا).

- بالمناسبة - حين سئل الشاعر إبراهيم العريض: أن طه حسين لم يُعط المتنبي حقه.. من البحث؟  
أجاب: بأن طه حسين لا يعرف شيئاً عن المتنبي، بدليل أنه يعتبر إحدى روائع المتنبي - طوى  
الجزيرة حتى جاءتني خبرٌ - شطحة من شطحات الشباب!! (المجلة العربية عدد ٢٦١)

(٢) لكن.. أي أدب!، يجب أن نخدد، أو نقول - كما قيل عنه - : (مفسر الأدب  
الفرنسي.. في مصر).

وعدم التقدير، وإعطاء كل ذي حق حقه..<sup>(١)</sup>

.. فما معنى / أن تتشع من المروءة والأخلاق و"العُلا" ما يجبل الغريب (الأريب) على وزنك بمثقالهن،.. ثم لا تجد ذلك - التقدير - من ذوي رحمك - أولى الناس بإنصافك -!.. ف:

"ظلم ذوي القربى أشدُّ مضاضة على القلب من وقع السهام المهند"<sup>(٢)</sup> وسبحان الله أن ليس سجية ذلك (قلّة الإنصاف) في الإنسان لأخيه الإنسان - فحسب -.. بل "إن العود في أرضه نوعٌ من الخشب..!"<sup>(٣)</sup>.  
.. والله أعلم: أن هذا من أسباب التغرّب والفراق، أو التبعد عمّن لا يثمن الذات..، قال قبلك أبو العتاهية:

أخوك الذي من نفسه لك منصف"<sup>(٤)</sup> إذا المرء لم يُنصفك<sup>(٥)</sup> فليس أخاكا  
و.. كأن المثل القائل: "من عرفك صغيراً.. حقرك كبيراً".. ولدهُ قلّة - أو عدم -  
"الإنصاف"، وكثرة الاستخفاف، وعدم الالتفاف على من يستحق..

<sup>(١)</sup> قال الأنوه الأودي:

.. ولم أرَ في الخطوب أشدَّ هولاً وأصعب من معاداة الرجال  
<sup>(٢)</sup> من معلقة "طرفة بن العبد".

<sup>(٣)</sup> - قال أبو تمام:

لولا احترق النار فيما جاورت  
ما كان يعرف طيب ريح العود.. -  
<sup>(٤)</sup> .. قال (د. أحمد أبو شادي):

وإذا الأخوة أنصفت، لم يجزئ  
بين الخوارج من يدمس إخاء  
<sup>(٥)</sup> .. وفي المثل - الفارسي - "لم يُنصفك.. من أحوجك إلى الشكوى"

وربما - من هذا - ما جعلك أيها الفذّ تُؤلّف هذا البيت:

..فلا عبرت بي ساعة لا تُعزّني ..ولا صحبتني مُهجةٌ تقبل الظلما<sup>(١)</sup>  
وهكذا أبدأ.. أنت!!

١٢/ إذا ساء فعل المرء ساءت وصدق ما يعتاده.. من توهم  
وهذا الذي - ربما - .. يجعل أهل "المعاصي" -أعاذنا الله- يرون صور  
معاصيهم في الغير، فيتهمون.. دون وعيٍ منهم،  
لكنها حقيقة تكشف عن أسرار "الذات" أو تشفّها.. وتُبين عن مكنون  
يعجز إخفاء صداه الداخلي<sup>(٢)</sup> من ابتلي بشيء -نسأل الله العافية-، وهذا  
دليل على إدراك "ملكك" بالنفس البشرية، كي تُخالجها، ولهذا قيل في  
المثل "إن السارق يسرق الناس"..  
- ربما - : لأنه يراهم بطبعه.. لا غير!.

ثم:

.. ولو أردت العود - للورود من ذا المعين - لرددت "باستطراد"..  
لولا مفارقة الأحباب ما وجدت لها المنايا إلى أرواحنا سبلا  
أو/ ولم أرَ في عيوب الناس شيئاً كتنقص القادرين على التمام

(١) ..وهذا.. صورة من قول عنزة:

لا تسقني ماء الحياة بدّلة بل فاسقني بالعزّ كأس الخنظل

(٢) قال زهير بن أبي سلمى - في حِكْمه -:

ومهما تكن عند امرئٍ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

عدواً له ما من صداقته .. يذُّ  
..ومن الصداقة ما يضر ويؤلم  
كإفك فقدان الذي أنت واجد  
ما جرح بيمت إيلام  
وأخو الجهالة بالشقاوة ينعم

أو/ ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى  
أو/ ومن العداوة ما ينالك نفعه  
أو/ ستألف فقدان الذي أنت فاقد  
أو/ من يهن يسهل الهوان عليه  
أو/ ذو العقل يشقى بالنعيم بعقله  
أو .. أو .. إلخ..،

